أجل وأفضل ممن عمر على حق لدى الصالحين وقول هؤلاء المخالفين القائلين؟ جعلوا يأتونها هذه
العبادات والجمادات ودعوها في مكانها وغلقوا لا تكشفوها وعلى و تحكم ولا تهينوا الأموات
والصالحين وتسيئوا إليهم واليهم. وبأبدانها وكشفها؟ إذا لا تصلح هذه القول ولا يصح الذهاب إليه
فلا فائدة إذن في هذا العمل: فإن قال المخالفون: إن لهذا فائدة غير كل ما تقدم وهي تعظيم الأنبياء
والأولياء والصالحين الذين ماتوا وجب تعظيمهم بوضع هذه الكسا والزخارف على قبورهم وأجسامهم
قيل في الجواب: وهذا أيضا لا يصلح لأن تعظيم الأنبياء والصالحين الحقيقيين لا يكون إلا بما يحبون
لا في ما يكرهونه وينكرونه ومن عظمهم بما لا يقرونه ولا يحبونه فقد جهل والأنبياء والصالحون لا يمكن
أن يحبوا ويقروا وضع الأموال على قبورهم وأجسادهم حتى تبلى وتضيع وتأكلها الزمان دون إنفاقها
في سبيل الله وعلى الفقراء والمساكين والمحتاجين والبائسين. والدليل على أنهم لا يحبون
يحبون ذلك ولا يقرونه أنهم لا يمكن أن يفعلوه بأنفسهم لا لهم ولا لغيرهم ومن زعم بأن الرسول
أو أحدا غيره من الرسل والأنبياء صلى الله عليهم وسلم أو أحدا من العباد الصالحين الأشداء يمكن أن
يشيد لنفسه شيئا من هذا أو لغيره قبة من ذهب أو فضة مطلية بالحرير والديباج والجواهر وأنواع
الزخارف مع وجود المحاويج الآخرين الحفاة بل مع عدمها فقد أعظم على الله وعليهم الفرية والتهمة
ووضعهم موضع الظلمة المتهالكين المرتزقين وكلاهما تناقض ذلك ولو قال المخالفون في ليس
نبيا من الأنبياء ووليا من الأولياء لا يمكن أن يرضى بأنه يشيد له أصحابه من بعده بيتا
محلاة بالذهب والفضة والحرير والديباج والجواهر ليسكنه أو ليكون باسمه فقط بدون
سكناه مع وجود الفقراء والمساكين والمحاويج مع وجود أهل الحاجة الكثيرة. إذا كنا لا
نتلو ولا يتلو المخالفون أن نبيا واحدا أو وليا واحدا لا يمكن أن يرضى له ذلك في حياته
فكيف يمكن أن تزعم بأنه يرضى بأن يصنع له هذا بعد مماته فوق قبره ~~وهو لا يراه ولا~~
وهو لا يراه ولا يحس ولا ينتفع به؟ فتعظيم الأنبياء والأولياء والصالحين ليس في تجاوز البيوت
والضياع والثروات والأموال وبأسمائهم فضلا عن إيجادها فوق قبورهم. ولا يدعي عاقل
بأن من تعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم في حال حياته بأن يجعل أغنى الأغنياء وأكثرهم
أحسنهم بيتا وملبسا ومسكنا ومأكلا وأوفرهم مالا وغنى فكيف إذن زعم
بأن من تعظيم له بأن يجعل قبره أجمل القبور وأكثرها زخرفا وحليا ذهبا وفضة وحريرا وديباجا
وجواهر وأموالا؟ لا ريب في أن هذا من الإساءة إليه لا من التعظيم والتوقير. ولهذا لم
يحاول أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعلوا عليه أحسن البيوت والأشياء الحسنى
العالي والرغد ولا دنياه أو خير الدنيا والعظمة ولا مال أكثر الأموال وأنفسها مع أنهم
كانوا بلا خلاف أكثر المسلمين تعظيما له وأعرفهم بوجوه التعظيم ومعانيه وحقائقه. وفي
الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وأبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما يسرني أن لي أحدا ذهبا تأتي
عليه ثالثة وعندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين علي. هذا لفظ أبي هريرة. ولفظ أبي ذر:
ما أحب أن لي أحدا ذهبا أمسي ثالثة عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين إلا
أن أقول به في عباد الله هكذا - وحثا بين يديه - وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله. فالرسول
صلى الله عليه وسلم كان ينفق كل شيء في سبيل الله وعلى الفقراء والمساكين والمحتاجين وفي وجوه الخير والبر
والإحسان لا يبقي شيئا ولا يبقى على شيء وقد جاءت الأحاديث متواترة عنه بهذا المعنى. ويقول في
الحديث المذكور إنه لو كان عنده مثل جبل أحد ذهبا لما أبقى على شيء منه بل لأنفقه كله عن يمينه
وشماله وعن كل جهاته في طوائف المحتاجين وفي سبيل الله ثم لا يترك منه ذلك إلا ما يدخره لقضاء
دينه. وهكذا لو كانت الدنيا كلها في يديه صلى الله عليه وسلم لما ترك منها شيئا لا ينفقه في سبيل الله وفي
عباد الله وقد علم أنه في سيرته العملية التي لا تختلف أنه كان لا يترك يدخر شيئا ما لا
ولا يجمع مالا بل كان يفرق كل ما يقع في يده في عباد الله وفي سبيل الله حتى كان ينفق ويعطي إنفاق
وعطاء من لا يخشى الفاقة والفقر. فإذا كانت هذه سيرته صلى الله عليه وسلم وهذا قوله في الدنيا وإنفاقها
لا تمر عليه الليالي الثالثة وعنده منه أحد دينار واحد لو كان ذهبا كله لو كان مالا له فكيف
أنه يرضى بأنه يحشد الذهب والفضة والجواهر والحرير والديباج على قبره ولا ينفقه في سبيل الله ولا
في عباد الله ويحرم الفقراء والمساكين والمعوزين؟ إنه لا شك لا يرضى بذلك ولا يقره ولا يحبه
وإذن فكيف يتقرب إليه ويعظم ويوقر بفعل ما لا يحب ولا يرضى ولا يقر بل لا يفعل لو كان قادرا